Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فصائب الدهر كثيرة ، وكلها هجمت عليه دفعة واحدة ، حتى أصابته بالحيرة والارتباك ، فلم يدر أيها ينازل ؟ ولم يدر بأيها يبدأ الصراع ؟ فهذه الصورة نجدها شائعة فى مطالع البحترى ، بأساليب مختلفة ، وبدرجات متفاوتة ، ولكننا فى حالة الهجاء قد نقول إن المناسبة تستدعى نحو ذلك .

ولكن الذى يلفت النظر ، والذى لا نجد له تعليلا غير أنه صدى لنفسية البحترى وإحساسه بما حوله ، هو شيوع هذه الصورة الساخطة المتشائمة القلقة حتى فى مطالع المدح ، كقوله يمدح بعض الخلفاء :

مالى لايرحمنى من أَرْحمه  يظلم بالهجران من لا يظلمه ؟
يخطئُ سهمى وتصُيب أَسْهُمه  وإنما أَسْقَمَ قلبى مُسْقِمُه(٦٥)

فالبحترى يشكو من الظلم الواقع عليه دون جريرة ، بل مع تقديمه كل ما فى وسعه من خير ، ثم يشكو فى البيت الثانى ضمنا من سوء الحظ ، حيث إن سهامه تخطئ الهدف ، بينما السهام الموجهة إليه يحالفها الحظ فتصيبه هو ، ثم نلحظ اضطرابا بين شطرى البيت الثانى وعدم تلاؤم بين معنييهما ، ولعله من أثر القلق النفسى لدى الشاعر ، من حيث إن المطلع كما عرفنا هو الموضع الذى يبث الشاعر فيه نفسيته ومشاعره إزاء موضوع القصيدة ، فإذا كانت نفس الشاعر قلقة ، فلا غرابة فى أن يبدو هذا القلق فى المطلع بالذات ، بصرف النظر عن مستوى الشاعر ، أو مستوى القصيدة من الناحية الفنية .

ومن الواضح أن أقرب المطالع مناسبة للمدح الغزل ، والبحترى يسير على هذا النهج ، فنجد معظم مدائحه يبدأ بالغزل ، ثم نجد مشاعر الضيق والخوف والتبرم مصوغة فى ثنايا هذا الغزل ، أحيانا يصبها على نفسه ، وأحيانا على محبوبته ، وأحيانا على العذال والوشاة ، ونحو ذلك ، ومن أمثلة ذلك فى المطالع قوله :

أكثرتَ فى لوم المحبِّ فأقلل  وأمرتَ بالصبر الجميل فَأَجْمِل
لم يَكْفِه نَأْىُ الأحبة باللِّوى  حتى ثَنَيْتَ عليه لومَ العُذَّلِ(٦٦)